الشيخ والطفلة

قصة

بقلم فضر نبوه

اعتزم احمد الذهاب برفقة زوجته وطفلتهما الى الجبل كي يمضوا قسما من الصيف في بيتهم القديم . الا انه في الصباح وفي موعد الذهاب كان عليه ان يقدم لاخيه الصغير طلبا لدخول مدرسة الصنائع ثم يذهب لمقابلة شخص كان قد استاجر منه قطعة ارض فسيحة تمتد امام بيته في برج البراجنة لبناء مصنع لصناديق الفاكهة . حتى اذا انتهى النهار من ذلك قصد الى محلات « البستاني » ليدفع القسط المستحق من ثمن الغسالة التي اشتراها منذ اشهر .

فاضطر ان يوصل زوجته وسميرة طفلتهما الى المحطة على ان يلحق بهما حال انجاز عمله في بيروت . ولم يكن بالمحطة الا اوتوبيس واحد ولكنه كبير وطويل يرتفع بابه الى حد ما . وقد جثم فوق فسحة من الارض تحتل مركزا اساسيا بين ابنية انيقة تنصب امامه ثلاثة شوارع .

من جهة سوق الدلالين الصاخب . والشاحنات الكبيرة . وسحب الطحين التي تنعقد فوقها وخلفها الى مسافة بعيدة. والمارة الذين يحتالون للمرور بين صقالات الحمالين . وباعة الخضر الذين ينادون ويقفزون .. ويبيعون وسط اكداس الصناديق والافراش ..

ومن جهة ثانية رصيف طويل كئيب مفروش بقشور الموز وعرانيس الذرة واوراقها وكراس واطئة وعالية مبعثرة .. يجلس عليها شبان وشيوخ في اوضاع عادية وغير عادية ... يشربون القهوة ويدخنون النارجيلة ويثرثرون في كل شيء .

وشارع ثالث عريض يمتد امام دار الريفولي تندفع فيه السيارات والحافلات في تهور .. الا ان الناظر اليه يداخله شعور بان الحركة تمتزج فيه .. في دمائه ...

جلست ليلى ـ وهو اسم الزوجة ـ في مقعد امامي بازاء الشباك بعد ان تنقلت في مقاعد عدة ـ لقلة الركاب ـ وقد اختارته لانه مريح وقريب من الشباك ولا تحس فيه بالدوخة التي تحس بها اذا هي جلست في مقعد خلفي ...

ووقفت سميرة بجانبها على المقعد يطل وجهها الصغير من الشباك .. لتتفرج على الباعة المنتشرين هنا وهناك .. كالنحل ..

كانت الام تحوطها في حنو .. بل هي تكاد تحس الاحساس نفسه تجاه كل شيء ... كل شيء يبدو لها رائعا .. لذيذا بل ان كل ما تفكر به .. كل ما يطوف في خيالها من صور وذكريات وتفاصيل يبدو رائعا .. كاحلام الاطفال .

كانت تحملق في سميرة .. كانت صورة سميرة .. وجهها الصغير المستدير .. عيناها الجميلتان الطافحتان بالطيبة والبراءة تعيد اليها صفحة بيضاء ناصعة من عمرها .. لقد تزوجت .. ومضت اربعة اعوام .. لم تذق خلالها طعما لغير السعادة .. لقد طوى زواجها كل شيء ولم يعد الماضي التعيس الذي عاشته مع عائلتها الفقيرة الا ذكرى باهتة .. تذكرها فحسب .. بين وقت وآخر ..

الا انها تدرك تماما انها لم تخلص لاحمد لمجرد «عملية انقاذ» . ان هذا يبدو لها سخيفا كل السخف . انه مجرد عملية تجارية .. قد يقوم بها اي انسان يمتلك حفنة من المال... وربما كان فاسقا او في حدود الستين او احدب نوتردام .. ثم اليست هي جميلة ؟! ان هذا التفسير لا يكفي وحده ليمد هذا الاخلاص بتلك الحرارة العجيبة.. انها تحس في كل لحظة أنها ستخلص لاحمد اكثر من اللحظة السابقة .. لماذا ستخلص له ؟ ان هناك شيئا اخر غير الوفاء يربطها الى ضلوع احمد .. شيئا لا يقهر..

لكم كان يوم زواجها من احمد رائعا ... لذيذا . جاءت امه في تواضع الى امها ، قالت دون تردد انها تريد ليلى .. لاحمد .. وانه موله بها كل الوله وهم جيران .. والجار احق بجاره من الغريب ..

وبدت الغبطة على وجه ليلى وغرقت في هناءة قصيرة متمهلة .. لا تنتهي فمالت على سميرة تضمها الى صدرها وتغرز شفتيها في خدها الصغير النضر . وسميرة منشرحة منطلقة متوثبة تعبث شفتاها الناعمتان بطرف الكمكة في هدوء وصحة .

بعد قليل تقدم من الاوتوبيس رجل شيخ يجر نفسه جرا وفي عينيه قلق وتعب شديدان ثم وقف يسأل اذا كان الاوتوبيس سيمر في بحمدون وبعد ذلك ثبت رجله اليمنى على درجة الباب وانحنى ليتعلق باسفل المقعد الامامي . ثم ضغط بها الدرجة ثلاث مرات قبل ان يتمكن من رفع رجله اليسرى . وهكذا فعل مرة ثانية حتى استطاع الصعود .

واخيرا .. جلس بجانب ليلى ـ وهو المقعد الاول الذي صادفه ـ وكان انفه المربع المتورم وشارباه العظيمان وحاجباه الكثان تثير حوله هالة من الهيبة والاحترام رغم ما تنطق به وجنتاه الغائرتان وعيناه الشاحبتان من عجز وضعف .

وجلس .. فتكوم غنباذه الاسود بين فخذيه فنفضه بحركة صغيرة ثم تحسس بيده سلسلة صفراء تمتد من جيب صدريته العليا . والصدرية عبارة عن قطعتين امامية سوداء مزررة بازرار زجاجية براقة وخلفية بيضاء ترسم فوق الظهر حدبة خفيفة وتنتهي بعنق طويل يغطيه وبر ابيض .

واستدار الشيخ فجأة كمن تذكر شيئا معينا .. واخذ يحملق في وجه الركاب بعينين حائرتين . وتململت ليلى في مقعدها ووضعت يدا فوق اخرى لتفسح له مجالا ارحب ثم مسحت في حنو شعر سميره .. وقد ذاب قلبها في مشاعر صغيرة مؤثرة ..

وهي بين ان ترفع وشاحها الابيض.. وبين ان تخفي شعرها الاسود الجميل كانت عيناها العسليتان تشعان بنور دافيء لطيف وكان وجهها الشاحب قليلا بلون اللبن عليه مسحة حزينة حتى يخيل للناظر اليها انها فتاة يتيمة زاهدة في الحياة .

ومر بائع بوظة يلوي كالقصبة له شفتان ممطوطتان ووجه طويل ينم عن ضعف وطبع رخو فضبط الصغيرة تحدق اليه ، عيون صغيرة فيها براءة وطيبة وبوظة . واقترب من الاوتوبيس يقرع اجراس عربته الصغيرة وينادي بصوت طويل معلوك ـ وكأن في فمه علكا ـ ليؤلف مع رنات الاجراس الصاخبة سمفاونية غريبة . فانبسطت اسارير الصغيرة وتجمعت الهناءة على وجهها في تعبير باهت .. لذيذ وكانما تريد ان تقول : لا حاجة بي الى البوظة ..

وما لبث لسانها الصغير ان اطل بين شفتيها الرقيقتين ثم حدجت البائع بنظرات خبيثة يقفز لها القلب وقد ارتسم بين عينيها اروع معاني الطفولة . فمد البائع لسانه الطويل وزمم انفسه الاحمر المروس فظهرت اسنانه الصفراء الطويلة التي اثارت ضحك الصغيرة ..

كانت الساعة قد ناهزت الثامنة ولم يبق الا نصف ساعة لمسير السيارة . وكانت الشمس تغمر المدينة بضياء رائع وتلقي على زجاج السيارة كتلة من نور تعكس انوارا ذات الوان شتى ..

وادارت ليلى وجهها وقد شعرت فجأة بشيء يرهق صدرها وكان الحر والشمس الشديدة .. والانتظار ـ مهما كان الانتظار ـ يغذى دواعي الملل في نفسها .. وكانت المقاعد الخلفية ما تزال حرة . اما الامامية فلم يبق منها الا عدة اماكن لا غير .

وفي المقعد المجاور لها كانت ثمة امرأتان احداهما سمينة تلتحم بالمقعد وترتدي فستانا يبدو ضيقا رغم اتساعه تبرز من خلاله طيات جسمها لتثير في النفس مشاعر مختلفة .

والثانية هزيلة على طول كانما كانت محبوسة فيقسطل رفيع وكانوجهها يبدو كوجه الجمجمة تبرز منه اسنان طويلة مهزوزة . وكانت هذه تنصت الى المرأة السمينة وهي تثرثر بدون انقطاع وصوتها يرتفع بشكل مزعج كما لو ان حديثها من الاهمية البالغة بحيث ينبغي ان يصل الى اذن كل انسان.

وكان الشيخ ينظر اليهما في ارتياب : وكأنه ينتظر حدوث شيء فوق العادة . والحق ان منظرهما كان يثير مثل هذا الشعور فلقد يخيل للناظر ان المرأة السمينة سوف تنقض لتنهش كتف المرأة الهزيلة وكانت عينا هذه الاخيرة الخائفتان تبرران مثل هذا الاحتمال ..

وغفا الشيخ اغفاءة حزينة .. وبدت خطوط وجهه القديمة صورة لتعب مزمن وصلابة انسان يريد ان يعيش رغم كل شيء .. ولعل ذلك ما جعل ليلى تحس تجاه الشيخ بعطف جريح ولسانها يتحرك في صمت ، ترى كيف يعيش ؟ هل ما زال يعمل .. ويكد .. تحركه عزة النفس ؟! ولكن ودت لو تعرف عنه شيئا ، لو تستطيع ان تقدم له خدمة صغيرة . فلقد كان محياه رغم ما يرمز اليه من عنف وصلابة قريبا الى القلب .

القت ليلى نظرة على ساعتها الصغيرة . ثم الى السائق الذي كان قد ترك السيارة وانتحى جانبا مع مجموعة من الشبان يشربون الكازوز ويثرثرون ...

ولعلها فسرت جلوس السائق بان موعد المسير قد يطول اكثر مما بقي من الوقت ـ عشر دقائق ، فاقعدت سميرة على ركبتيها وشبكت يديها حول خصرها وغرقت في تأملات وافكار سهلة .

وكان الطفلة احست لاول مرة بوجود الشيخ فرفعت حاجبيها الصغيرين دهشة عندما لمحت رأسه غارقا في لبادة طويلة رمادية . والتمعت عيناها ببريق جذاب وبخفة وهدوء مدت يدها الى جيب صدريته العليا وهي تفتح فمها فتحة صغيرة لم تطبقه الا بعد ان سحبت شيئا .. واشرق وجهها الصافي كلؤلؤة كبيرة :

ـ ماما .. شوفي ساعة .. ساعة كبيرة ..

وافاق الشيخ منزعجا .. ولكنه عندما لمح ساعته في يد الصغيرة اتسعت عيناه وانفرجت شفتاه عن تعبير ساذج لذيذ . بيد ان الام اعادتها اليه وقد تخضلت بشرتها بلون الدم . وقالت وهي لا ترفع بصرها عاليا :

ـ عيب .. عيب يا ماما...

فاجاب الشيخ وهو يبتسم ابتسامة هادئة لطيفة :

ـ يا زغيرة .. والله انت تمام مثل سعاد .. سعاد بنت بنتي .

ولعل ابتسامة الشيخ التي تحمل المرء الى جو هادىء وديع شجعت الصغيرة على التحرش به فقد القت بالكعكة المستديرة في حضن امها ثم وقفت بينها وبين الشيخ وادارت اليهما وجهها ثم امسكت بكتف امها واخذت تضغط بيدها الاخرى على انف الرجل المتورم ترسم خطوطا مختلفة .. على جفنيه وحول عينيه.. وكانت تتحاشى انتلمس باصبعهاالصغير لبادته الطويلة وكانما تخاف اذا هي فعلت ان يخرج من تحتها شيءمخيف ... وكانت وهي تلمس بيديها شعره الاشيب الذي يزحف تحت اللبادة تبدو مندهشة للغاية وكانما لم تكن قد رات من قبل شعرا ابيض . فاخذها الشيخ الى صدره ثم غرز شفتيه الضخمتين في خدها الصغير النضر .

ـ يا زغيره .. يا حلوة !!

ورغم كثافة لحيته وضخامة شفتيه لميبد على الصغيرة اي اعتراض.. بل ان عينيها كانتا تنطقان بجرأة وذكاء عجيبين .

وحاولت الام ان تستعيد الطفلة من الشيخ وهي تجاهد ألا تضحك :

ـ عيب .. عيب يا ماما ..

الا ان الشيخ أقعد الطفلة على ركبتيه وقد بدت المتعة على وجهه :

ـ لا .. اتركيها معي .. والله يا ابنتي انو قلبي هف لها من اول نظرة ...

وحملق في الصغيرة .. كانت عيناه تبرقان بشدة .. رغم شحوبهما حتى خيل لليلى ان دمعة كبيرة توشك ان تنحدر على خده . وابتسم ابتسامة مشوبة بالحزن والاسف :

ـ آه .. يا زغيره .. قديش في شبه .. بس يا ريت كانت سعاد معنا .. ايه يا رب ! متى راح ترجع سعاد من البرازيل ..؟

فوق ركبتيه كانت الطفلة منشرحة متوثبة .. تحرك رجليها الصغيرتين في صحة وهدوء .. ثم اخذت الكعكة من امها وعادت تمص طرفها بشفتيها الصغيرتين .. ووجهها يطفح بالسعادة ..

وفجأة .. تنبهت ليلى الى انها نسيت ان تشتري اغطية لسريرها .. وسرير احمد .. فلقد اصبحت الاغطية قديمة بالية الى حد ما . ولم يكن « سوق الطويلة » ـ وهو سوق الاقمشة طويل كاسمه ـ بعيدا ، فاعتزمت الذهاب لشراء الاغطية قبل مسير الاوتوبيس .

ولكن .. هل تأخذ سميره معها ام تتركها للشيخ ريثما تعود ؟ من يدري ربما سارت السيارة أثناء غيابها أو حدث سوء للطفلة . ان الذهاب باليد ولكن العودة ليست باليد . اذن لا بد من ان تأخذها ولكن يبدو ذلك صعبا .. فالسيارات وزحمة السوق .. ثم ينبغي ان تحمل سميره.. والوقت .. ليس ثمة متسع من الوقت ..

واستقر رأيها في سرعة .. حتى لا تدركها مشاعر وافكار اخرى ... فالتفتت الى الشيخ وهي تبتسم ابتسامة قلقة :

ـ عمي الشيخ .. عمال معروف .. خلي البنت معك .. بينما روح شوي على السوق ..

وبدا الطلب للشيخ رائعا بل ومثيرا ... معا . فانبسطت اساريره وشعت عيناه بنور هادىء لطيف وكأنما عادت اليه حفيدته الصغيرة .. من البرازيل ..!

ولم يدر بماذا يجيب :

ـ تكرمي .. يا بنتي . والله يا بنتي انو حبيت الزغيره من اول نظرة.. هو يا بنتي الاولاد زينه .. يا الله شو بتشبه هالصغيرة سعاد !!

ومسحت ليلى شعر ابنتها وهي تقول :

ـ سميره .. خليكي مع عمو .. كوني معه عاقلة !

ثم تركت الاتوبيس بسرعة .. ابتلعها الشارع .

غير ان القلق ما لبث ان بدا على وجه الشيخ وكأنما داخله فجاة احساس بشيء غامض .

***

اجلس الشيخ الطفلة على ركبتيه وأحاطها في حنو بذراعه القوية المطمئنة وأخذ يدغدغ وجهها بيده .. سألها عن الاشياء التي تحبها .. السيارات .. الحافلات .. الاولاد الفقراء الذين يبيعون العلكة .. غير ان سميره سرعان ما سئمت من « شوفي هالزغير .. شوفي هالفقير » .. فارتسم على وجهها تعبير خبيث وكأنها تريد ان تقول : لا حاجة بك للتعب .. اني ارى كل شيء ؟! ثم افلتت من يديه الضخمتين في حياء وعادت الى النافذة تتفرج وتبتسم .. لجميع الاطفال ! فالتمعت عينا الشيخ .. وتحرك لسانه في صمت :

ـ يا ابنتي ...

بعد قليل مر بقرب المحطة شاب طويل القامة وسيم المحيا مرتفع الجبين عيناه سوداوان هادئتان يطالعك وجهه الصغير بابتسامة تشع بالامل يفتح لها قلبك واذ تراه ينتابك شعور لطيف اشبه بذلك شعور الذي ينتابك

ـ للحظة لا غير ـ عندما تصادف صديقا قديما .

ولم تكد الصغيرة تلمح الشاب ـ ميزته من بين مجموعة من الناس ـ حتى صرخت وقد قفزت الفرحة الى عينيها :

ـ بابا ... بابا ...

ومن خلال الشباك مدت ذراعيها وأخذت تلوح وتصفق .. ان تعال خذني .. فأثارت انتباه الركاب الذين صوبوا انظارهم الى الشاب . ومال الشيخ على الصغيرة حتى كاد وجهه يلامس وجهها وسألها في سذاجة :

ـ شو .. شو يا عمو ..

ولكن الطفلة لم تسمع .. نسيت الشيخ وكل شيء حولها ..

ـ بابا ... بابا ...

وعلقت المرأة السمينة وقد ارتعشت ملامحها كمن يوشك ان يبكي :

ـ يا نونو .. انت عرفت البابا ؟! ثم قالت تخاطب الشيخ :

ـ والله يا عم الاولاد زينة الحياة .

ولكن الشيخ رمقها بنظرة ازدراء فلم تفهم لذلك سببا وأشاحت بوجهها في امتعاض كأنها تريد ان تقول :

ـ سبحان الخالق ؟!

وأسرع الشاب وقد ازداد وجهه اشراقا :

ـ بابا .. بابا .. يا عمر البابا !

فصفقت الصغيرة بيديها كحمامة بيضاء وهي تمد يديها تحرك رأسها تود لو تطير ..

غير ان الشيخ امسك بطرف فستانها الرقيق وسحبها قليلا الى الداخل بينما اخذها والدها بيديها :

ـ بابا .. انت هون ؟

ـ بابا .. انت مش رايح معنا ؟!

ورفع الشاب رأسه قليلا وبعد ان بحثت عيناه داخل الاوتوبيس تبدلت ملامحه فجاة :

ـ .. وين الماما يا سميره ؟ وين راحت ؟ انت مع مين ؟

وأجابت الطفلة وهي تقفز بخديها الصغيرين وتقلب كفيها بحركة لطيفة ناعمة :

ـ الاما .. بح ! !

ونظر الشاب الطويل الى الشيخ .. غير ان الرجل لم يشأ ان ينبس ببنت شفة . كانت عيناه السوداوان تسددان نظرات مستقيمة ثاقبة من تحت حاجبيه الكثيفين . فاندفعت المرأة الهزيلة تشرح الموقف وفي عينيها تردد وخوف دائمان :

ـ راحت عالسوق شوية .. وتركت الطفلة مع الشيخ .

قالت هذا والشيخ يحوط الفتاة بذراعه في حب وحنان وينظر الى الشاب في ارتياب . كان اشبه بدجاجة تحمي فراخها من قط خبيث ينتظر الفرصة للانقضاض عليها .

كان يبدو وقد صمم ان يحول دون اي انسان يريد ان يأخذ منه الطفلة في الاوتوبيس وفي غياب الام بالذات . ليست ملك احد سواه.

وابتسم الشاب ابتسامة ابت الا ان تكون مخنوقة :

ـ عمو .. متشكر كثير .. لا مؤاخذة ..

فلم يجب الشيخ وبدا كأنه لا يعي حرفا واحدا مما قاله الشاب .. لماذا يتشكر ؟! وعلام يقول في بلاهة : « لا مؤاخذة » . وجذب الطفلة اليه وشبك يديه حول خصرها فتدلت على ركبتيه وشمر فستانها الرقيق حتى ظهر سروالها الصغير .. وهي تنادي :

ـ بابا ... طلاع معنا ...

واسرع الشاب متخطيا الباب وهو يحس كنصل حاد ينغرز في قلبه . لقد انحنى قليلا امام الشيخ ومد يديه ليحتضن الطفلة .. طفلته هو ورغم احساسه بالانخذال والشقاء فقد كان يبتسم وقال :

ـ هو انا والدها ! وكانت الطفلة قد رفعت يديها وعينيها اليه .. ان خذني يا بابا .. غير ان الشيخ تشبث بها .. تشبث بيديها .. بخصرها الصغير فكانت كلما حاولت ان تزحف على ركبتيه عاد ورفعها ليقعدها في حضنه من جديد .

ـ هل انا غريب .. ولكن هي ابنتي . ان هذا ينبغي ان يحسه احساسا .. انه شيء لا يحتاج الى برهان ...

واتخذ وجه الشاب معنى هو مزيج من المجد والرعب . واغلب الظن انه هو نفسه ما كان يعلم ما الذي يعتزم ان يفعله لو اصر الشيخ على عدم تسليم الصغيرة . وعلى اية حال فقد تعود الام .. ولا بد ان تعود.. ولكنه لا يجرؤ ان يقاوم الشيخ الان .. لماذا لا يجرؤ .. واعاد الشاب ذراعيه الى وضعهما الاول في تخاذل وخجل دون ان يحدث شيء حاسم .

ثم قال الشيخ فجاة بصوت يطلع من قلبه :

ـ يا حبيبتي انتظري الاما .. والله يا ابنتي بعد قليل بتجي الاما ..

هو البابا على راسي وعفيني بس انا مسؤول عنك تجاه الماما .

ويبدو ان الطفلة لم تفهم شيئا : لم يفهم حتى الكبار معنى هـذه المسؤولية . واي مكان للمسؤولية او عدمها في قضية هي مجرد أب وطفلة لا يمكن ان يزج شخص ثالث نفسه بينهما . بل ان الامر ليبدو من الوضوح بحيث يثير « النرفزة » . فشحب وجه الشاب والتمعت عيناه ببريق سام ثم تحرك لسانه في صمت : هي ابنتي

ولكن .. من يقول انها ليست ابنتك ؟ من لا يصدق انك لست اباها ؟ وما هو الضير اذا كانت مع الشيخ ؟

مسؤول تجاه الماما .. أليس هو على حق ؟ أليست الطفلة وديعة لديه؟ لنفرض اني لست أب الطفلة الحقيقي واني أشبهه الى حد بعيد ... لنفرض اني الاب الحقيقي وعلى خلاف مع الام ... ألا يمكن ان تحدث اشياء مثل هذا النوع ؟ وهل تغضب اذا كان الشيخ يحافظ على الطفلة حتى من ابيها ؟!

ولكن .. أي معنى لتلك الافتراضات ؟ بل انها لافتراضات صبيانية خارجة عن المعقول العادي . ولكن اي غرض للشيخ من عدم تسليم الطفلة؟ غرض.. يبدو هذاسخيفا كل السخف. فاذا كانت هذهالافتراضات تبدو ساذجة بالنسبة اليك فهل هي كذلك بالنسبة لشيخ في حدود السبعين أم انها تدل على طيبة وحب واخلاص ؟!

وقطع افكاره صوت المرأة السمينة . كان رفيعا حادا لا ينسجم وهذا الكيان البشري الضخم :

ـ انت يا عمي الشيخ .. مش سامع الطفلة عم تصرخ بابا ؟.. لشو بعدك متمسك فيها ؟!

قالت ذلك ثم نظرت الى الركاب نظرة مستترة ذات معنى لم يكن لها بالطبع ذلك التأثير الذي تريد ...

وقد ادرك الركاب العطف على الاب والابنة وكانت الدهشة تنطق في عيونهم ، غير انها دهشة موقتة لا غير . لقد كانوا الآن يراقبون الشيخ في صمت كئيب وكانت المرأة الهزيلة مستلقية في مقعدها ورجلاها ممدودتان في تصلب وقد ضغطت احداهما على الاخرى . وكان جفناها مطبقين نصف اطباق كمن يوشك ان يصاب بالاغماء .

وضحكت امرأة كانت تجلس في المقعد الخلفي ثم ضحكت ثانية في خبث ومالت على اذن رفيقها وهو فتى في حدود العشرين فدفعته عنها ثم استغرقا كلاهما في الضحك .

وكأنما المرأة الهزيلة قد أفاقت فجأة وهمست في اذن زميلتها السمينة:

ـ الظاهر انو خرفان .. او مجنون ..

واجابت هذه بحدة :

ـ مجنون وبس ؟!..

ثم نهض الشاب الذي كان يضحك وكان يبتسم الآن ابتسامة تدل على ثقة بالنفس اكثر من اللازم فقال بصورة مفاجئة :

ـ يا عم .. يا خواجه .. هو والد الطفلة .. انت مش سامع شو بتنادي الطفلة ؟!

قال ذلك ثم جلس وقد احمر وجهه . غير ان الشيخ ظل مصرا على صمته ولم يبد عليه اثر الاضطراب كمن لا يبالي بشيء .

كانت الطفلة تبكي وتضرب الشيخ بيديها الصغيرتين « بابا بابا » وتبكي بحرقة وتنظر الى ابيها بعينين متوسلتين تثيران العطف ثم بدا للشاب ان ليس ثمة جدوى من الجدل .. فقد كان الشيخ مصمما على الاحتفاظ بالطفلة مهما كلف الامر . ولكن على اية حال فما كان في ميسوره ان يواصل الوقوف كالتمثال والطفلة تبكي وتتعلق عيونها به ان خذني .. وسرعان ما تحرك التمثال .. تحركت في عينيه وقلبه مشاعر مؤثرة وطفا على محياه خيال ابتسامة حائرة :

ـ لا تبكي .. يا بابا .. الشيخ رجل طيب.. هو مثل جدك تمام .. آه .. سكتي .. ها انا قاعد صوبك ..

وجلس الشاب بجانب الشيخ وامسك بأناملها الطرية وطبع على خدها قبلة صغيرة وأخذ يدغدغ وجهها في حنو .

ـ ايه .. ايه .. ليش انت تبكي.. انت شاطره ... هيك بيساو الشاطرين ؟!

فكفتعن البكاء وانظل وجهها الصغيرعابسا عبوساجميلا ..بينماصدرها يعلو ويهبط . ورغم ذلك فقد ظل الشيخ يمسك بها في حذر وينظر الى الشاب في ارتياب وتمهل .. ومر بائع حلوى فناداه الشاب واشترى للصغيرة قطعة من البندق ثم التفت الى الشيخ مبتسما .. قال موجها اليه الكلام : « الاطفال ملائكة صغار » ولكنه فشل معه في الدخول معه في حديث بسيط ، او في الحصول على كلمة واحدة او نظرة تعيد الى نفسه السكينة والصفاء . فلقد كان يقلقه شعور غامض .. وبعد قليل عادت الام فوجدت الطفلة على ركبتي الشيخ تلوك بلسانها قطعة البندق والاب الى جانبها يلاعبها ويدغدغ خديها ففرشت الدهشة على وجهها والتمعت عيناها بمعنى هو مزيج من المجد والعطف .ولما رأها الشيخ حرك رأسه باضطراب وكأنما ينتزع نفسه من اعماق حلم .. وعاليا رفع الصغيرة بين يديه فاخذتها الام الى صدرها وهي تتمتم شاكرة .

فعل هذا من غير ان ينبس ببنت شفة او يبدو على وجهه شيء يثير الاهتمام. وحينما كانتالام تسأ زوجها عن سر عودتهكان الشيخ قدانسلفي هدوء وجلس في احد المقاعد الخلفية .. ولم يلحظ عليه احد .. انه يبكي ..

خضر نبوه

مجموعات « الاداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الاربع الاولى من الآداب تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل.ل	٥٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «